الخميس 19 فيفري 2026

مقياس : مناهج وتقنيات البحوث الكيفية في السمعي البصري

المحاضرة الثالثة : طرق تحديد المشكلة في البحوث الكيفية وصياغة السؤال الجوهري

تمهيد

يمثل تحديد المشكلة البحثية الخطوة الأكثر حساسية في مسار أي بحث علمي، لأنها تشكل نقطة الانطلاق التي يتحدد على أساسها اختيار المنهج، والأدوات، وطبيعة البيانات، ومسار التحليل، وإذا كان تحديد المشكلة في البحوث الكمية يرتبط غالباً بالكشف عن علاقات سببية بين متغيرات قابلة للقياس، فإن الأمر يختلف جذرياً في البحوث الكيفية التي تنطلق من افتراض أن الظواهر الاجتماعية والإعلامية هي ظواهر معقدة، متعددة الدلالات، ومبنية على المعاني.

في مجال الدراسات السمعية البصرية تحديداً، تتجلى أهمية تحديد المشكلة بشكل أوضح، لأن الباحث لا يدرس مجرد مضامين أو أرقام، بل يتعامل مع صور، ورموز، وخطابات، وتأويلات جماهيرية، وكلها عناصر تتطلب فهماً تفسيرياً عميقاً، لذلك فإن صياغة المشكلة في البحث الكيفي لا تقوم على الاختبار، بل على الاستكشاف والتفسير.

1. الإطار المفاهيمي للإشكالية في البحث الكيفي :

تُفهم الإشكالية في البحث الكيفي باعتبارها بناءً فكرياً يعكس توتراً معرفياً أو غموضاً تفسيرياً حول ظاهرة معينة، فهي لا تُطرح بوصفها سؤالاً بسيطاً، بل باعتبارها شبكة من التساؤلات المترابطة التي تكشف عن زاوية نظر الباحث إلى الظاهرة.

في هذا السياق، لا تنشأ المشكلة من غياب المعلومات فقط، بل من:

- ✓ تعدد التأويلات
- ✓ تعارض القراءات
- ✓ نقص الفهم العميق
- ✓ وجود تحولات في الخطاب أو الممارسة الإعلامية

وبالتالي فالإشكالية الكيفية تُبنى على الرغبة في فهم الكيفية التي تُنتج بها المعاني داخل سياق اجتماعي وثقافي معين.

2. الفرق بين الموضوع، المشكلة، والإشكالية

من الضروري التمييز بين ثلاثة مستويات:

أ . **الموضوع** : يمثل المجال العام للدراسة، مثل:

- تمثلات الهوية الجزائرية في الإشهار التلفزيوني
- صورة المرأة الجزائرية في الدراما التلفزيونية

ب . **المشكلة البحثية** : تعبر عن جانب محدد داخل الموضوع يحتاج إلى تفسير مثل :

- تزايد حضور الرموز الثقافية في الإشهار التلفزيوني ، غير أن طبيعة تمثيل الهوية الجزائرية داخل هذه المضامين تظل غير واضحة من حيث دلالاتها وسياقاتها .
- تعدد الصور المقدمة للمرأة الجزائرية في الدراما التلفزيونية بين التقليدية والعصرية ، مما يطرح تساؤلا حول طبيعة هذه التمثلات ودلالاتها الاجتماعية .

ج . **الإشكالية** : هي البناء المنطقي الذي يربط بين المشكلة والسياق النظري، ويقود إلى السؤال الجوهري ، فالإشكالية إذن ليست مجرد سؤال، بل هي منطق فكري يبرر طرح السؤال.

- شهد الإشهار التلفزيوني في السنوات الأخيرة توظيفا متناميا للرموز الثقافية والوطنية المرتبطة بالهوية الجزائرية ، سواءً من خلال اللباس التقليدي أو الفضاءات العائلية أو الموسيقى التراثية ، غير أن هذا الحضور لا يبدو بريئا أو محايدا ، بل يأتي ضمن سياق تسويقي يهدف إلى بناء علاقة وجدانية بين المنتج والمستهلك المتلقي للمضامين الإشهارية ، ويثير ذلك إشكالا معرفيا يتعلق بطبيعة هذه التمثلات وما إذا كانت تعكس فعلا الهوية الجزائرية كما تتجلى في الواقع الاجتماعي أم أنها تعيد تشكيلها وفق منطق رمزي يخدم استراتيجيات الإقناع والإشهار ، ومن هنا تتجلى أهمية تحليل كيفية بناء هذه الهوية داخل الخطاب الإشهاري ودلالاتها الثقافية والاجتماعية ، وعليه نطرح السؤال الجوهري التالي : **كيف تبنى تمثلات الهوية الجزائرية داخل الخطاب الإشهاري التلفزيوني ؟ وما الدلالات التي تنتج عنها ؟**

- تشهد الدراما التلفزيونية الجزائرية حضوراً مكثفاً لصورة المرأة في سياقات اجتماعية وثقافية متعددة، حيث تتراوح الأدوار المقدمة بين أنماط تقليدية تركز على الوظيفة الأسرية، وأخرى حديثة تعكس انخراط المرأة في المجال المهني والاجتماعي. غير أن هذا التباين لا يمكن فهمه بمعزل عن السياق الثقافي والإنتاجي الذي يُبنى فيه الخطاب الدرامي، إذ تتداخل فيه تصورات اجتماعية راسخة مع تحولات واقعية يعيشها المجتمع الجزائري. ويكشف هذا الوضع عن توتر معرفي يتعلق بطبيعة تمثيل المرأة داخل النص الدرامي، ومدى ارتباطه بالتحولات الاجتماعية أو باستمرار أنماط رمزية مستقرة، الأمر الذي يستدعي تحليلاً تفسيرياً لبنية هذا الخطاب ودلالاته ، وعليه نطرح السؤال الجوهري التالي : **كيف تُبنى صورة المرأة في الخطاب الدرامي التلفزيوني الجزائري، وما الدلالات الاجتماعية والثقافية المرتبطة بها؟**

3. مصادر تحديد المشكلة في البحوث الكيفية

تنبع المشكلة البحثية في الدراسات الكيفية من عدة مصادر:

❖ **التحولات في الواقع الإعلامي** : كظهور أنماط جديدة في الخطاب السمعي البصري.

❖ **الفجوات في الأدبيات السابقة** : كهيمنة الدراسات الكمية على مجال معين مع غياب المعالجة التفسيرية.

❖ **الملاحظة الميدانية** : احتكاك الباحث بالمجال الإعلامي واكتشاف ظاهرة غير مفهومة.

❖ **التوتر النظري** : وجود اختلاف في تفسير ظاهرة معينة بين اتجاهين فكريين.

4. خصائص المشكلة في البحث الكيفي

لكي تكون المشكلة منسجمة مع طبيعة البحث الكيفي، ينبغي أن تتسم بما يلي:

✓ أن تكون تفسيرية لا اختبارية.

✓ أن تركز على المعنى لا القياس.

✓ أن ترتبط بسياق اجتماعي وثقافي محدد.

✓ أن تسمح بتعدد التأويلات.

✓ أن تكون قابلة للدراسة عبر أدوات نوعية.

5. السؤال الجوهري في البحث الكيفي

يمثل السؤال الجوهري المركز الذي تدور حوله الدراسة بأكملها، وهو الصيغة المكثفة للإشكالية ، في البحث الكيفي، يتخذ السؤال الجوهري طابعاً مفتوحاً تفسيرياً و غير موجَّه بنتيجة مسبقة ، ويُصاغ غالباً باستخدام صيغ مثل: كيف يتم...؟ كيف يُبنى...؟ ما الدلالات التي...؟ كيف يؤول...؟

6. خطوات منهجية لصياغة السؤال الجوهري

- تحديد الظاهرة بدقة.
- تحديد زاوية التحليل (خطاب، تمثلات، تلقي..)
- تحديد الإطار النظري المرجعي.
- التأكد من انسجام السؤال مع أدوات البحث الكيفي.
- تجنب إدراج افتراضات مسبقة داخل السؤال.

7. أخطاء شائعة في تحديد المشكلة

- صياغة سؤال سببي في دراسة كيفية.
- تضمين حكم قيمي داخل السؤال.
- الخلط بين الهدف والسؤال.
- صياغة سؤال عام جداً يفتقر إلى التحديد.

8. أهمية الإشكالية في توجيه البحث السمعي البصري

في الدراسات السمعية البصرية، تؤثر صياغة المشكلة بشكل مباشر في:

- ✓ اختيار العينة
- ✓ نوع التحليل (سيميولوجي، خطاب، تمثلات...)
- ✓ طبيعة النتائج
- ✓ عمق القراءة التأويلية

فكلما كانت الإشكالية دقيقة ومنسجمة مع الباراديغم التفسيري، كان التحليل أكثر عمقاً وتماسكاً.

خلاصة

إن تحديد المشكلة في البحوث الكيفية يمثل عملية فكرية مركبة تتجاوز مجرد اختيار موضوع للدراسة، ليصبح بناءً تفسيرياً يعكس رؤية الباحث للظاهرة، ويُعد السؤال الجوهري التعبير المركز عن هذا البناء، حيث يوجه مسار البحث ويحدد منطلقاته النظرية والمنهجية، وفي مجال السمعي البصري، تزداد أهمية هذه الخطوة نظراً لتعدد الدلالات والرموز التي تتطلب فهماً تفسيرياً دقيقاً ومنظماً.